ذكرنا سابقا أن الشعر العربي حافل بألوان **الرثاء** على اختلافها وما يهمنا هو تجلي هذه الألوان في مراثي الأخ عند شاعرينا "**المهلهل**" و"**الخنساء**" وقبل أن نتعرض لذلك بالدراسة علينا أن نقف عند حياة هذين الشاعرين وحدودها الزمانية والمكانية.

1/ الشاعران المكان والزمان:

1)- المهلهل:

من منا لا يعرف ذلك الفارس الكرار الذي شاع ذكره في الأقطار بحفظ ذكرى أخيه، وحمل لواء ثأره بعزم جبار.

لا شك أنه **المهلهل بن ربيعة**، أو الزير سالم، أو أبو ليلى، الحازم، الباسل، المقدام، الذي لا يمل النزال، قتل أعدائه وأعداء أخيه دون لين حتى أذل منهم كل صنديد جبار.

فمن هو المهلهل؟.

وما حقيقة اسمه؟.

ولماذا لقب بالزير، ومتى ولد؟.

وما قصة ثأره الذي دام سنين طوال؟.

أ-حياته:(اسمه، نسبه):

لف الغموض معظم حياة "**المهلهل**" ولم يصل إلينا من أخباره إلا نزر قليل، وأقدم ما وصل إليها منها ساده الاختلاف بين الرواة حتى في مسائل بسيطة وبديهية كمسألة الاسم إذا اختلف الرواة في اسم شاعرنا وتعددت الروايات، فكان منها من استند إلى بيت من الشعر ومنها من استند إلى واقعة زعم حدوثها.

ومن هذه الروايات نجد من ذهب إلى اسمه هو: «امرؤ القيس بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غم بن تغلب» [1]

واستشهدت ببيت من الشعر يقول فيه:

ضربت صدرها إلي وقالت يا أمرأ القيس حان وقت الفراق. [2]

وذهبت أخرى إلى أن اسمه هو« عدي» [3] وهوالا سم المرجع لسببين:

الأول: أن البيت الشعري في الرواية الأولى غير موجود في قصيدة معروفة للمهلهل الأمر الذي يقلل من مصداقيته.

الثاني: أن "**السليمي**" بنت **المهلهل** رثت أباها بعد موته قائلة:

[الطويل]

أعيني جودا بالدموع السوابح على فارس الفرسان في كل صافح.

عديا أنا المعروف في كل شتوة وفارسها الموهوب عند التكافح [4]

فالشاعرة هنا تستجدي من عينيها الدموع، وتلح في طلب التسكاب لدمع العزيز على من وصفته بأخ المعروف وصاحب الشتوة أي ملجأ الناس إذا نزل بهم ضيف الشتاء.

فمن غير المعقول أن تخطأ البنت سليمة في اسم والدها.

---

[1]– أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك:الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط5،[د،ت]، ص174.

[2]– المصدر نفسه، ص174.

[3]– أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي: الأمالي، دار الجبل، بيروت، لبنان،[د،ط]، 2010م، ج2، ص129.

[4]– المهلهل بن ربيعة: الديوان، شرح طلال حرب، الدار العلمية، بيروت، لبنا،[د،ط]، 2008،ص101.

إذا شاعرنا هو« عدي بن ربيعة بن مرة بن هبيرة، منبني جشم من تغلب» [1]«أخو كليب، وخال أمرئ القس بن حجر الكندي الشاعر الملك، أبو ليلى وجد بن كلثوم لأمه.» [2]

ب) مأساته:

كان **المهلهل** في أول أمره« صاحب لهو كثير المحادثة للنساء فسماه أخوه كليب زيرالنساء» [3]

ويبدو ومن خلال هذا اللقب أن أخاه لم يكن يرجو منه خيرا وإلا لما لقبه بجليس النساء. لكن الحياة لم تهنأ له كثيرا فقد ضرب القدر ضربته فقتل **كليب**" في أمر البسوس[*][4]

ولعل السؤال المطروح أي موقف يجب أن يه المهلهل؟

هل يستمر في انصرافه إلى لذاته؟

أم يقبل الدية وهو عار

أم يطلب الثأر وهو ما تقره الأعراف والتقاليد؟

ومما جاء في كتب تراثنا الأدبي أن **المهلهل**« هاجه قتل أخيه فضل يبكيه، ويندبه، ويرثيه بالأشعار، وهو يجترئ بالوعيد حتى يأس قومه وقالوا إنه زير نساء» [5]م بالمهلهل

---

[1]– أبو زيد محمد ابن ابي الخطاب القريشي: جمهرة أشعار العرب، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط3، 2003م،ص269.

[2]– جورجي زيدان تاريخ اللغة العربية، تحقيق: شوقي ضيف، دار المهلهل،القاهرة، مصر،[د،ت]، 2001م، ص118.

[3]–رجيس بلاشير: تاريخ الأدب العربي، تحقيق: ابراهيم الكيلاني، الدار التونسية للنشر، ط2،[د،ت]، ج1،ص466.

[*]– البسوس: هي خالة بساس بن مرة قتل كليب ناقتها فقتاص جساس لخالته فقتل كليب.

[4]– جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،ص118.

[5]– حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط1، 1986م، ص189.

ولما بلغ ذلك ا **لمهلهل** نهض للحرب فهجر النساء وحرم الشرب، كما أظهر ذلك في قسمه الأخوي الرهيب يقول:

[الطويل]

خذ العهد الأكيد علي عمري بتركي كل ما حوت الديار

وهجري الغانيات وشرب كأس ولبسي جبة لا تستعار. [1]

اختار المهلهل الثأر وهو أمر طبيعي من أمير جاهلي قتل ابن عمه أخاه.

ج) وفاته:

ونأتي إلى وفاة "**المهلهل**" لنرى كيف انتهت تلك الحياة الصاخبة فنرى مرة أخرى تعدد الروايات واختلاف الآراء.

فقد ذهبت رواية إلى أن" " **المهلهل**"« سقي من ماء موبوء فمات[2]» وذهبت رواية أخرى إلى أن "**المهلهل**" « كبر وأسن، فأخذ يجول البلاد برفقة عبدان فملا منه، وهما بقتله فأحس بذلك فسألهما أن ينقلا عنه هذا البيت:

[الطويل]

من مبلغ الحيين أن مهلهلا لله دركما ودر أبيكما

فقتلاه ثم عادا إلى الحي باكيين منتحبين، وقالا لإبنته البيت فتفكرت فيه ثم قالت إنما أراد المهلهل أن يقول:

[البسيط]

---

[1]– المهلهل ابن ربيعة: الديوان ص34.

[2]– المصدر نفسه ص18.

من مبلغ الحيين أن مهلهلا أمسى قتيلا في الفلاة

لله دركما ودر أبيكما لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فضربوهما حتى مات» [1]

يبدو أن هاتين الروايتين لا تخلوان من النفس الروائي الهادف إلى التسلية والتشويق وبالتالي لا يسعنا الوقوف على الحقيقة إلا أن ما يمكن أن نستكين إليه هو أن "**المهلهل**" لم يقتل في المعركة، بل كبر وأسن وهو ما اتفقت على تبنته هاته الروايات.

ولم يكن تحديد الوفاة بالأمر الهين فذهب بعضهم إلى أنه توفي«**325م**» [2] وذهب فريق آخر إلى أنه توفي«**521**»[3] كلها تواريخ تشير إلى أنه توفي في **الثلث الأول من القرن السادس.**

بعد البحث والتنقيب في مصادر تراثنا الأدبي عن كل ما يتعلق " **بالمهلهل**" يجدر بنا أن نسجل الملاحظات الآتية:

أن الغموض لف معظم حياة "**المهلهل**" ولم يصل من أخباره إلا نزر قليل .

- إن الاختلاف وتضارب الروايات بلغ حتى المسائل البسيطة والبديهية كاسم شاعرنا.
- إن المهلهل عاش حياة ميسورة سادها اللهو ومعاقرة الخمر.
- أن كليب لم يكن يرجو من أخيه خيرا وإلا لما لقبه بجليس النساء
- بدأت مأساة المهلهل بوفاة أخيه كليب.

---

[1]– أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، [د،ت]، ج5، ص52.

[2]– المهلهل ابن ربيعة: الديوان، ص18.

[3]– جورجي زيداني: تاريخ آداب اللغة العربية،ص118.

- اختار المهلهل الثأر فبعث حربا دامت سنين طوال.
- اختلفت الروايات في تحديد وفاة المهلهل إلا أنها تشير إلى أنه توفي في الثلث الأول من القرن السادس.

2/الخنساء:

من المعلوم ان لفراق المألوف حرقة لا تدفع، ولوعة لا ترد، ودمعة لا تجف، فقديما سئل أعرابي عن المراثي: «لماذا ا كانت هي اشرف الأشعار، قال: لان نقولها وقلوبنا محترقة» [1]

وقديما أيضا، قالوا: « إن أعرابيا مر بامرأة تبكي ميتا، ورجل ينهاها، فقال له الا عرابي: دعها تندب» [2]

نسوق هذا الخبر للقول: إن هذا هو حال تلك المرأة التي كانت تبكي ميتا لها، فكيف بامرأة أخرى ذاقت فجيعة مزدوجة بفقدان **أخويها، وقبلها ذاقت طعم الترمل، واغلب الظن أنها ذاقت قبلها جرعة اليتم، ثم بعدهما محنة ة الثكل فمن هي هذه المرأة؟**

إنها **تماضر الملقبة** " **بالخنساء** " ، التي ظلت تبكي وتكبي حتى اشتهرت في العرب بأنها **ذات العين المسهدة، والحرقة الدائمة، واللوعة الكاوية.**

ولماذا لقبت بالخنساء؟ ومتى ولدت؟

وما قصة فجيعتها المزدوجة بفقدان أخويها خاصة صخر الذي إلهاها عن كل سابق ولاحق؟

للإجابة عن هذه الأسئلة نحاول الاطلاع أولا على عصر الشاعرة.

---

[1]– احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ج3، ص183.

[2]– المصدر نفسه، ص183.

أ- **عصر الخنساء:**

إن الحديث عن عصر "**تماضر**" يعود بنا إلى« **العصر الجاهلي الذي عاشت فيه الخنساء أكثر عمرها**» [1] ، « **والإسلامي الذي وفدت فيه على الرسول(صلى الله عليه وسلم)، وأسلمت مع بنيها**» [2]

فالخنساء إذن شاعرة [*] مخضرمة"[3] ، عاشت الشطر الأحفل والأهم من حياتها في العصر الجاهلي، ولم تدرك الإسلام إلا بعد أن اكتملت حياتها الفنية، لهذا لم يهن على" ابن قتيبة" إن يحسبها في عداد المخضرمين، وإنما هي عنده **جاهلية خالصة.**

إذ يقول:« وهي جاهلية، كانت تقول الشعر في زمن النابغة الذبياني»[4]

ومن هنا جاز القول: إنها **جاهلية فنيا، مخضرمة،** نظرا الامتداد حياتها إلى ما بعد الإسلام سنين طوال.

---

[1]- أبو العباس ثعلب: شرح ديوان الخنساء، تحقيق: فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1424هـ، ص10.

[2]- عبد عون الروضان: موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط3، 2009، ص133.

[*] المخضرم: كلمة تطلق على كل من شهد عصرين.

[3]- سعيد بوفلاقة: شعر الانساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، دار المناهل، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ، 2007م، ص49.

[4]- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص218.

ب-حياتها:

ب-1- (اسمها، نسبها، لقبها):

هي **تماضر**،« **بضم التاء المثناه من فوقها وفتح الميم وبعد الألف ضاد مكسورة معجمة وبعدها راء**» [1]، وهي بنت« عمرو بن الحارث بن شريد بن رباح بن يقظة بن صمة بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر» [2]، وتكنى أم عمرو[3] ومصداق ذلك قول صخر:

أرى أم عمر لا تمل عيادتي وصلت سليمى(*) مضجعي ومكاني[4]

والخنساء لقب غلب عليها، **الخنس في انفها، الخنس في الألف هو تاخره عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة وهي صفة مستحبة، وأكثر ما تكون في الظباء، وبقر الوحش**[5].

وهي بنت الأشراف والسادة« نبت في دوحة الشرف، وازدهرت في روضة الفضل، فكان أبوها وأخواها معاوية، وصخر سادات سليم من مضر» [6]

---

[1]- ابن خلكان: وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان،[د،ط]، 1397هـ/1977م، ج6، ص34.

[2]- عبد عون الروضان: موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي، ص133.

[3]- أبو إسحاق بن علي: الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: زكي مبارك، دار الجبل، لبنان،[د،ط]، [د، ت]، ج4، ص998.

(*)- سليمي: هي امرأة صخر.

[4]- أبو العباس ثعلب: شرح ديوان الخنساء،ص6.

[5]- يحي الشامي: الخنساء شاعرة الرثاء، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

[6]- احمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار النهضة، بيروت، لبنان،[د ط]، [د،ت]، ص149.

ب-2/ **مولدها**

متى ولدت "تماضر"؟

لم يحدد القدامى عاما بعينه لمولد" **تماضر**"، فمعظم كتب التراجم التي تصفحناها إن لم نقل جلها" كوفيات الأعيان لابن خلكان"، " وزهر الآداب وثمر الألباب الحصري"...الخ، اكتفى أصحابها بذكر أخبارها التي تقطع بأنها أدركت الإسلام، وأسلمت هي وبنيها.

وكما اتفقت هذه الطائفة على عدم تحديد تاريخ **لمولد"تماضر**" خالفتهم طائفة أخرى من المحدثين حرصت على ان يكون عام «**575**» [1] تاريخ لمولدها.

ونرى ان **القدامى اسلم منهجا**، إذ ليس لنا إن نقطع في تاريخ **مولد شاعرة** جاهلية، ونحن نعلم يقينا انه ما كان **للأخبار** التي تناقلها الرواة حقبة من الزمن ولم تدخل حيز الكتابة الا متأخرا، إن تحدد مولد شاعرة من الجاهلية.

وحسبنا في هذا الشأن قول بنت الشاطئ في كتابها **نوابغ الفكر العربي**:« إنها ولدت منتصف القرن الأول قبل الإسلام، فأدركت المبعث ولقيت النبي (صلى الله عليه وسلم)، في العام الثامن للهجرة وهي في طلائع شيخوختها». [2]

ولدت"تماضر"، إذا ولم يسجل احد تاريخ مولدها، ولما ظهرت موهبتها في الشعر، احتفل بها قومها، فمولدها ارتبط بظهور شاعريتها، ولا غرابة في ذلك فنحن نعلم مكانة الشاعر في القبيلة العربية.

---

[1]- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي(الأدب القديم)، ص290.

[2]- عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ: نوابغ الفكر العربي(الخنساء)، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1963.، ص24.

ب-3/ زواجها:

نقلت كتب تراثنا الأدبي إن"**تماضر**"، خطبها كثيرون فردتهم، ومنهم "**دريد بن الصمة**". (*) الذي ليس في العرب يومئذ من يجهله، **فارس شجاع، وشاعر فحل، وقائد مظفر**- وكان رآها تهنا(**) بعيرا فقال:

حيوا تماضر واربعوا صحبي وقفو فان وقوفكم حسبي

أخناس قد هام الفؤاد بكم وأصابه تبل(***) من الحب [1]

ويبدو في هذه الأبيات إن"دريد ابن الصمة"، هام بالخنساء هياما ملك عليه عقله وفؤاده. ولئن ردت"تماضر" خطبة سيد بني جشم وفارسها

فهل قبلت الزواج بغيره؟

وما هو عدد أزواجها؟

عندما نحاول الحديث عن موضوع زواج"**تماضر**"، يلقانا قصور في الأخبار فالنقاد والأدباء القدامى، اكتفوا بذكر الأخبار التي تقطع بأنها أدركت الإسلام، ولم يأتوا بخبر عن أزواجها إلا في خلال الحديث عن أولاد لهم منها، لما كان لهم من دور في معركة القادسية. (****)

أما عدد الأزواج، فزوجين اختلاف في ترتيب زواجها منها.

(*)- دريد بن الصمة: شاعر جاهلي، كان سيد جشم وفارسهم وقائدهم، غزا نحو مئة غزوة لم يهزم في واحدة منها أدرك الإسلام ولم يسلم قتل يوم حنين سنة(58هـ).

(**) -هنات البعير: طلة بالهناء وهو القطران.

(***)- التبل: السقم.

[1]- أبو العباس ثعلب: شرح ديوان الخنساء، ص7.

(****) - القادسية: هي المعركة التي انتصر فيها المسلمون بقيادة سعد ابن ابي وقاص، على الفرس بقيادة رستم.

فعند **المستشرق الألماني كارل بروكلمان** تزوجت "**الخنساء**":« من مرداس بن أبي عامر، ثم تزوجت بعد وفاة مرداس من عبد الله بن عبد العزى». [1]

وعند **يحيى شامي:** « تزوجت من رواحة بن عبد العزى السليمي، فولدت له عبد الله، ويكنى أبا شجرة، ثم خلف عليها مرداس بن أبي عامر السليمي، فولدت له زيدا، ومعاوية، وعمرا، وعمرة ». [2]

ومهما يكن من ندرة الاخبار عن حياة "تماضر" الزوجية، والاختلاف في ترتيب الأزواج إلا إننا نستطيع القول: إن" تماضر" تزوجت وأنجبت وان أولادها الأربعة قد بلغوا مبلغ الشباب، واشتهروا جميعا بالفروسية وكتب لهم شرف الشهادة في معركة القادسية.

ج- **ماساتها:**

نبدأ مأساة "**تماضر**" برحيل زوجها" **مرداس**" تاركا بنيه صغارا، وقد جادت عليه" **الخنساء**" **بمرثية واحدة** لا نعثر على غيرها في الديوان كله تقول: في مطلعها

[الكامل]

لما رأيت البدر اظلم كاسفا ارن شواذ بطنه وسوائله [*]

رنينا وما يغنى الرنين وقد أتى بموتك من نحو القرية حامله [3]

ويبدو من خلال هاته الأبيات ان "**مرداسا**" مات قبل ان تفقد **الخنساء أخويها** وإلا لما قالت: انه خير الناس، **ولما رأت الدنيا مظلمة والبدر كاسفا، والجبال تبكي**

---

[1]- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي: ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط5، [د،ت]، ج1، ص164.

[2]- يحي الشامي: الخنساء شاعرة الرثاء، ص9.

[*]- ارن: بكى، شواذ: جبل بالبادية، السوائل: ج سائل: ماسال من الشيء.

[3]- الخنساء: الديوان، ص102.

ومما لا شك فيه انها وجدت في **أخويها** نعم **السند، العون،** في محنة ترملها، خاصة صخرا الذي وقف إلى جانبها، يرعاها، ويحمل عنها عبئ يتماها، بل بلغ به الكرم إلى « ان شطر ما له وأعطى أخته أفضل شطريه » [1]

ونمضي لنرى مأساة " **تماضر**" لم تتوقف عند هذا الحد، بل كان اللاحق افجع من السابق كيف لا، وقد هلك "صخر" « **جنة الزمان الاغبر وذعاف الخميس الأحمر**» [2]

وقبله معاوية« **القائل الفاعل**» [3].

لقد كانت فجيعة" **الخنساء**" المزدوجة نقطة تحول في حياتها، اذ لم تر بعد **صخر الا نائحة، معولة، نادبة.**

ثم شاء المولى عز وجل ان يذيق" تماضر" محنة الثكل في بنيها الأربعة، الذين خرجوا مع جيش المسلمين، فباتت ليلتها توصيهم بالصبر وتغريهم بمجد الاستشهاد قائله:« يا بني إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتهم مختارين،.... وقد تعلمون ما اعد الله تعالى للمؤمنين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا ان الدار الآخرة خير من الدار الفانية يقول **الله عز وجل** [اصبروا وصابرو بطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون] [4]

فإذا أصبحتم غدا ان شاء الله سالمين فاغدوا قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، فتيمموا وطيمها، وجا لدوا رسيسها تظفروا بالغنى والكرامة في دار الخلد والمقامة» [5] ثم الفتح، وقدم الجيش يحمل"

---

[1]– عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ: نوابغ الفكر العربي(الخنساء)، ص38.

[2]– الخنساء: الديوان، ص66.

[3]– المصدر نفسه، ص66.

[4]–سورة ال عمران، الآية 200.

[5]– ينظر ،عبد المومن الشريشي: شرح مقامات الحريري تحقيق :ابو الفضل ابراهيم المكتبة العصرية لبنان ط2 2004م ج4 ص356.

للخنساء" مع هتاف النصر خبر استشهاد بنيها الأربعة فما كان منها إلا أن قالت:«الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقر رحمته». [1]

ولم يرد في مصادر ومراجع تراثنا الأدبي بيت واحد رثت به فلذات كبدها! انه لموقف عجيب، من شاعرة تجيد الرثاء.

اهو شرف الاستشهاد قد هون من مصابها؟!

ام هو القسم بان لا ترثي هالكا بعد صخر؟

انه اثر الإسلام في نفس" الخنساء"، كيف لا؟ وهو من جعل نفسها مطمئنة بان أبنائها **أحياء** عند ربهم يرزقون.

هـ- مكانتها:

حظيت "تماضر" بتقدير النقاد، والدارسين، والأدباء، والشعراء منذ عرفت، ولا تزال إلى حد الساعة موضع عناية وتقدير، فقد أنصفتها كتب التاريخ الأدبي للعرب إنصافا غير معتاد، وإذا ما قارناها بغيرها من شواعر العرب، وجدناها قد نالت أكثر مما يرجى.

فقد شهدت" **تماضر**" حسب ما نقلته مصادر تراثنا الأدبي مجالس **النابغة** في سوق **عكاظ** [*]وجذبت اسماعه اسماع الحاضرين من أمراء البيان.

فقد ذكر ابن قتيبة أنها جاءت الموسم، وقد جاس **النابغة** للحكم بين الشعراء فأنشدته من مراثيها في **صخر**، وكان قد سبقها آخرون منهم الاعشى، وحسان بن ثابت فقال لها النابغة: « والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفا لقلت انك اشعر الجن والإنس» [2]

فغضب حسان بن ثابت وقال: « **أنا اشعر منك ومن أبيك، ومن جدك**» [1]

---

[1]– المصدر السابق ص356.

[*]– سوق عكاظ: هي سوق ادبية تجارية مشهورة في الجاهلية، كان يجتمع فيها الشعراء يتناشدون الشعر وحكمهم في ذلك النابغة الذبياني.

[2]– ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص218.

فما كان من **النابغة** إلا أن التفت إلى **الخنساء** قائلا: « أجيبه يا خناس» [2]

فأقبلت عليه **الخنساء** وقالت: « ما أجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضتها آنفا» [3]

قال قولي: **[الطويل]**

لنا الجفنات الغر(**) يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجده ودما [4]

قالت: « **ضعفت افتخارك وانزرته في ثمانية مواضع، في بيتك**».

قال: « **كيف ذلك؟**». قالت: « **قلت لنا الجفنات، والجفنات مادون العشرة**. ولو قلت الجفنات لكان أكثر، وقلت الغر، والغيرة بياض في الجبهة، ولو قلت البيض لكان أكثر اتساعا، وقلت يلمعن، واللمعان شيء يأتي بعد شيء، ولو قلت يشرقن، لكان أكثرلأن ، الإشراق أدوم من المعان، وقلت بالضحى، ولو قلت بالدجى، لكان ابلغ، لان الضيف أكثر طروقا بالليل وقلت أسيافنا، والأسياف ما دون العشرة، ولو قلت السيوف لكان أكثر، وقلت يقطرن، ولو قلت يجرين، لكان أكثر انصبابا، وقلت دما، والدماء أكثر من الدم»[5]

فسكت حسان، ولم يجر جوابا[6]

ان هذا النقد الذي وجهته "**الخنساء**" "**لحسان بن ثابت**"، لا يمكن أن تقر به لان النقد في العصر الجاهلي كان **ذاتي، ذوقي يقتصر على الاستحسان والاستهجان**، أي أن:« الناقد

---

[1]– المصدر نفسه، ص219.

[2]– احمد الحوفي: المراة في الشعر الجاهلي، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة:ط2، [د،ت]، ص290.

[3]– المرجع نفسه، ص219.

[**] – الغر: جمع الاغر وهو الابيض من كل شيء

[4]– حسان بن ثابت: الديوان، ص219.

[5]– احمد الحوفي: المراة في الشعر الجاهلي، ص290.

[6]– ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص219.

يبني حكمه استجابة لمشاعره، الشخصية وتذوقه الفني للأثر الأدبي دون أن يسبق هذا الحكم بدراسة فكرية» [1].

كما ان أحكام "**الخنساء**" تتكئ على مصطلحات لغوية(كالتفرقة بين جمع المؤنث وجمع المذكر، وجمع القلة، وجمع الكثرة)

وهي مصطلحات لم يعرفها النحاة العرب إلا في عصر التدوين.

ويلقانا في صدر الإسلام استحسان **النبي**"(**عليه الصلاة والسلام**)،لشعر "**الخنساء**" وإعجابه به، فقد ذكر **الجاحظ** إن **النبي**(**صلى الله عليه وسلم**)، كان يستحسن قولها: في أخيها" **صخر**"[2]

[البسيط]

لابد من ميتة ف صرفها عبر والدهر في صرفه حول وأطوار[*]

وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار[**][3]

ولا غرابة في استحسان النبي(عليه الصلاة والسلام) لمثل هذا الشعر، لان "الخنساء" في البيت الأول تأكد على حقيقة الموت، وكيد الدهر وغدره بأهله.

ويمضي العصر الإسلامي، وترحل معه" تماضر" من الحياة الدنيا، لكنها تركت ما يجعلها حية في ذاكرة الأجيال.

فقد نقل "الشريشي" إن "جريرا" سئل: من اشعر الناس؟

قال (أنا، لولا هذه الفاعلة – يعني الخنساء–)

---

[1]– محمود رزق حامد: النقد الادبي من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي، دار العلم والايمان، ط1، 2010م، ص18.

[2]– ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: المحاسن والاضداد، دار الهلال، بيروت، لبنان،[د، ط]، 1992م، ص171.

[*]– العبر: ج عبرة، وهو الاعتبار، الحول: وهو التحول والتصرف، اطوار: ج طور وهو التقلب.

[**] –لتاتم: يهتدي به، اهداة، ج هاد وهو المرشد، كانه علم في راسه نار: مثل يضرب في ذيوع الشهرة.

[3]– الخنساء: الديوان، ص45– 46.

وكان"بشار" يقول:(لم تقل امرأة شعرا إلا ظهر الضعف فيه).

قيل له: أو كذلك "الخنساء"؟، قال: تلك فاقت الرجال» [1] ومن هنا يتضح أن"للخنساء" مكانة ظاهرة ومرموقة بين الفحول.

فما مكانتها بين الشواعر؟

لقد كفانا صاحب كتاب"الإعلام" عناء البحث والتنقيب بان جعل "الخنساء" "اشعر شواعر العرب، وأشهرهن على الإطلاق" . [2]

وجراه في ذلك الكثير من الرواة، ولم يشذ عن ذلك سوى"الأصمعي"، الذي رأى أن"ليلى الاخيلية [*] اشعر من الخنساء". [3]

على أن "المبرد"وضع الشاعرتين معا، إلا انه بدا بالخنساء، فقال: «كانت"الخنساء" وليلى الاخيلية" في أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول، وقلما رأيت امرأة تتقتر في صناعة». [4]

كما لم يغفل عنها"أبو العلاء" صاحب"رسالة الغفران"، بل وقع اختياره عليها دون غيرها من الشواعر لتكون من بين التقي بهم في رحلته إلى العالم الآخر.

« فإذا هو بامرأة في أقصى الجنة قريبة من المطلع إلى النار فيقول: من أنت؟ فتقول: أنا خنساء السلمية... » [5]

---

[1]– عبد المؤمن القيسي الشريشي: شرح مقامات الحريري، ، ص350.

[2]– خير الدين الزركلي: الاعلام، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، ط15، 2002، ج2، ص86.

[*]– ليلى الاخيلة: هي بنت عبد الله بن الرحال، وقيل ابن الرحالة، المسمى الاخيل بن عامر، شاعرة من شواعر العصر الاموي، عرفت برثائها لتوبة بن الحمير.

[3]– الاصمعي: فحولة الشعراء، تحقيق: تشارلس توري، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط2، 1980م، ص19.

[4]– ابو العباس محمد بن يزيد المبرد: الكامل في اللغة والادب، تحقيق: محمد احمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1997م، ج2، ص50.

[5]– ينظر: ابو العلاء المعري: رسالة الغفران، شرح مفيد قميحة، دار المكتبة الهلال، بيروت، لبنان،[د،ط]، 2000م،ص188.

كما احتفل بها صاحب الأغاني أيما احتفال، إذ جعلها من الشعراء الذين اختير شعرهم ليكون من الأصوات المائة التي غنى بها. [1]

د)وفاتها:

كان من المنتظر ألا تختلف الأقوال في تحديد عام وفاة "تماضر" بعد أن ذاع صيتها إن لم يكن بكائها على سادات مضر معاوية وصخر فاستشهاد بنها الأربع، لكن يبدوا أن الخنساء لن تتخلى في موتها بما اتسمت به- من غموض واختلاف- في مولدها.

فإلى جانب القول الشائع والمتداول بين الدارسين بوفاتها «عام64ه أول خلافة عثمان بن عفان(رضي الله عنه) في البادية» [2]

يوجد قول بأنها« توفيت سنة 22ه» [3] إلا أننا نرجح الرأي الأول لسببين:

الأول: أن معظم القدامى إن لم نقل جلهم نقلوا أن "الخنساء" «شهدت معركة القادسية مع بنيها الأربعة الذين نالوا شرف الشهادة».

الثاني: أن النص صريح في أنها« أدركت عصرا" عمر بن الخطاب"(رضي الله عنه)»[4] الذي« توفي سنة **23ه** » [5] وكانت هي على قيد الحياة يقول: صاحب الاستعجاب: « كان عمر الخطاب رضي الله عنه يعطيها أرزاق أولادها الأربع حتى قبض» [6].

---

[1]- ابو الفرج الاصبهاني علي بن الحسن: الاغاني، ، ص86.

[2]- يحي شامي: الخنساء شاعرة الرثاء،ص9.

[3]- رغداء مارتيني: شواعر العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر العربي، دمشق، سوريا، ط2، 2001، ص280.

[4]- عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، نوابغ الفكر العربي(الخنساء) ص54.

[5]- سعيد بوفلاقة شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، ص70.

[6]- ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق عادل مرشد، دار الأعلام، القاهرة، مصر، ط1، 2002،ص71.

بعد البحث والتنقيب في كتب التراجم عن كل ما يتعلق بأمر "**الخنساء**" يجدر بنا أن نسجل الملاحظات الآتية:

- عاشت "**تماضر**" الشطر الاحفل من حياتها في **الجاهلية** ولم تدرك الإسلام إلا بعد أن اكتملت حياتها **الفنية** ومن هنا جاز أن نعتبرها **جاهلية فنيا، مخضرمة** لامتداد حياتها إلى ما بعد الإسلام.

- شاعرتنا اسمها **تماضر بنت عمر بن الحارث بن الشريد والخنساء:** لقب غلب عليها لخنس في انفها.

- مولد"**تماضر**" ارتبط بظهور موهبتها الشعرية، وهو ما يبرر عدم تحديده بعام معين من قبل القدامى، عكس المحدثين الذين حرصوا إن يكون 575 تاريخ مولدها.

- لئن ردت "**تماضر**" خطبة "دريد بن الصمة"، سيد جشم وفارسها، فإنها لم تتردد في الزواج من أبناء عمومتها إذ تزوجت "رواجه بن عبد العزى السليمي" ، ثم خلف عليها "مرداس بن أبي عامر السليمي"، وكانت ثمرة هذا الزواج أربعة أبناء كتب لهم شرف الاستشهاد في معركة القادسية.

- "الخنساء" امرأة لم تهنا لها الحياة فقد تلاحقت عليها المصائب تباعا، اذ فقدت أباها، ثم زوجها، ثم أخويها "معاوية" "فصخر"، وأخيرا أبناءها الأربعة.

- مأساة "تماضر" الحقيقية لم تبلغ كمال نضجها إلا بعد ان فقدت أخويها خاصة صخر الذي جعل أبياتها تقطر أسى، وتسيل دموعا.

- اختلفت الأقوال في تحديد عام وفاة "تماضر" رغم شهرتها الا ان الشائع والمتداول عام 24هـ اول خلافة عثمان (رضي الله عنه) في البادية.

- "الخنساء" كانت لها مكانة مرموقة بين الفحول، اما بين الشواعر فهي اشهرهن على الإطلاق.

II - ألوان الرثاء في مراثي الأخ عند المهلهل:

1/- الندب: لعل أول ما سنتطرق له في مراثي "**عدي بن ربيعة**" هو الندب الذي يبدو فيه طغيان مشاعر الحزن والأسى، والإحساس بالفجيعة على المرثي، وهذا كما هو معروف وليد العاطفة الداخلية للراثي، إزاء المرثي.

ولعل خير ما يصور ذلك قوله:

[الوافر]

أهاج قذاء عيني الأذكار هدوا فالدموع لها انحدار. (*)

وصار الليل مشتملا علينا كان الليل ليس له نهار [1] (**)

- يبدو أن "**المهلهل**" في هذه الأبيات يشي بالهم الذي ساوره، والحزن الذي ارقه، وجعل ليله لا يعقبه نهار، من جراء فقد أخيه "**كليب**" الذي أمسى تذكره كالقذاء في عينه، يمنعه المنام، والراحة، والسكون، ويسبب له الوجع بل يجعل دمعه ينحدر، نعم انه ينحدر في أواخر الليل دون اكتراث **بالأعراف الاجتماعية، التي تعير من يبكي من الرجال، وتفرض عليه أن يتسم باصبر، والجلادة، والتحمل.**

[الطويل]

وانا لقوم لا تفيض دموعنا على مالك منا وان قصم الظهر. [2]

ولعل "**المهلهل**" لم يكتف ببكائه على أخيه، فجعل المرأة تشاركه حزنه

(*) - اهاج: اثار، القذاء والقذى: ما يتكون في العين من وسخ جامد يتجمع في موقها. الهدو: الهزيع من الليل يهدا فيه الناس اي ينامون.

[1]- المهلهل: الديوان، ص31.

(**) - علينا يفصد عليه وعلى دموعه.

[2]- عمرو بن معد الزبيري: الديوان، تحقيق: هاشم الطعان: دار الفكر للطباعة، دمشق، سوريا،ط2، 1980،ض103.

يقول:

[الكامل]

تبكي عليك ولست لائم حرة تأسى عليك بعبرة وتنفس(**) (1)

كما صور "**المهلهل**" مظاهر بكائهن قائلا:

[الكامل]

فخرجن حين ثوى كليب حسرا مستيقنات بعده بهوان (***)

فترى الكواعب كالظباء عواطلا اذ حان مصرعه في الأكفان.

يخمشن من ادم الوجوه حواسرا من بعده ويدن بالأزمان .

متسلبات نكدهن وقد ورى أجوافهن بحرقة ورواني[2].

وقد تمثل هذا البكاء في لطمهن، وخمشهن وجوههن، وحلقهن رؤوسهن، وشقهن جيوبهن، وقرعهن صدورهن.

وتزداد وطأة "**المهلهل**" بهذا الفقد ويتداخل فيها إحساسه بالوحدة والإنكار ويقول:

[الخفيف]

أنكرتني حليلتي(*) اذ رأتني كاسفا الوجه لا أطيق المزاح[3]

فالشاعر في هذا البيت يصور الوحدة التي يعاني منها، فقد تخلى عنه اقرب الناس إليه وهي الحليلة ما إن رأته معين الوجه لا يطبق المزاح.

(**)-الحرة: امراة شريفة كثيرة الدمع، تاسى: تحزن، العبرة: الدمعة.

(1)- المهلهل: الديوان، ص44.

(***)- ثوى: هلك، الحسر: هي المراة المكشوفة الراس والذراعين.

(2)- المصدر نفسه، ص83.

(*)- الحليلة: الزوجة.

(3)- المصدر نفسه، ص24.

ويستمر "**المهلهل**" الطاقات التعبيرية ليجسد من خلالها صورة الأرق، والسهر، ومجافاة النوم، كما يتضح ذلك في قوله:

[الوافر]

وبت ارقب الجوزاء(**) حتى تقارب من اوائلها انحدار. [1]

تتجلى تجربة "**المهلهل**" بعد رحيل" **كليب**" كتجربة إنسانية مؤلمة في تصويره ما آل إليه يقول:

[الخفيف]

إن في الصدر من كتيب شجونا هاجسات نكان منه الجراحا.

ولقد كنت اذ أرجل راسي ما أبالي الإفساد والاصلاحا.

بئس من عاش في الحياة شقيا كاسف اللون هائما ملتاحا [2].

فلم يعد" **المهلهل**" كما كان سابقا لا يبالي ولا يكترث، اذ سرعان ما اصبح رجلا تعيسا، شقيا، مؤكدا أن غياب أخيه قد أورثه الشجون، والهجس، والهيام، والأرق...الخ.

وجعل "المهلهل" **الطبيعة تقاسمه حزنه وفجيعته على غياب أخيه.**

يقول:

[الكامل]

***لما نعى الناعي كليبا أظلمت شمس الن*هار **فما تريد طلوعا**[3].

فالشاعر في هذا البيت يصور كيف تلقت الطبيعة فجيعة فقد "**كليب**" فالشمس بعده أظلمت تأبى الطلوع.

(**)–الجوزاء: من نجوم السماء، وانحدارها لا يكون الا في اواخر الليل.

(1)– المصدر السابق ص31.

(2)– المصدر نفسه، ص24.

(3)– المصدر نفسه ، ص48.

كما جسد "**المهلهل**" في أخيه معاني البطولة، والقوة والقدرة على قيادة الجيش وتحقيق الانتصارات يقول:

[السريع]

إلى رئيس الناس والمرتجى لعقدة الشد ورتق الفتوق(*)

من عرفت يوم خزازى(**) له عليا معد عند حبذ الوثوق(1)

ولجأ" **المهلهل**" في مرثية أخرى إلى تخليد صفات " **كليب**" المتمثلة في الحزم، والعزم، والجد، بأن جعلها لا تزول بزواله، بل تبقى حتى وهو تحت الأحجار رهين اللحد، وحبيس الترب.

يقول:

[الخفيف]

إن تحت الأحجار حزما وعزما وقتيلا من الأراقم(***) كهلا(2)

وهكذا استطاع "**المهلهل**" عبر قصائده الرثائية تخليد صورة أخيه بواسطة الشعر " فاشعر سلاحهم الأقوى، ضد الزمن، وردهم الأثبت على قوة الحياة وتقبل الدهر، وحتم الموت"(3)

(*)– الفتوق: الخروق، ورثق الفتوق، اصلاح الامر.

(**)–خزازي: جبل نبشت عنده معركة بين نزار بقيادة كليب واليمن، وقد انتصر فيها كليب.

(1)– المصدر السابق، ص53.

(***)–الاراقم: بطون من تغلب قوم المهلهل وهم ستة: جشم، ومالك، وعمرو، وثعلبة، والحارث، وعاوية.

(2)– المصدر نفسه، ص60.

(3)– محمد النويهي: الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1،[د،ت]، ج1، ص43.

2/ التأبين:

وفي هذا اللون **تهدا عاطفة الشاعر** وتتيح مساحة أوفر لتعديد مناقب الميت وتجميدها، فتطغى صورة **المرثي على الراثي**، قياسا باللون الأول.

" **فالمهلهل**" لم يكتف بتصوير حزنه على "**كليب**" بل عمد إلى الإشادة به، وأضاف إليه كل القيم والمثل التي هي موضع اعتزاز المجتمع العربي آنذاك كما يتضح ذلك في قوله:

[الوافر]

سقاك الغيث انك كنت غيثا ويسرا حين يلتمس اليسار

وانك كنت تحلم عن رجال وتعفو عنهم ولك اقتدار [1].

فهوفي نظره **الغيث، الغنى، والرخاء لقومه**، وهو **الحليم، والعفو، رغم اقتداره.**

ويحاول "**المهلهل**" أن يجعل فجيعته **عامة مشتركة** تكابد وتكابد معه عشيرته، ليؤكد أحقية أخيه في ان يبقى نموذجا ومثالا يتوق إليه الآخرون فنراه يقول:

أكليب من يحمي العشيرة كلها أو من يكر على الخميس(*) الاشوس

من للأرامل واليتامى والحمى والسيف والرمح الدقيق الأملس. [2]

يبدوا أن الشاعر في هذين البيتين يجسد خسارة قبيلته المتمثلة في" **كليب**". الذي كان سيفها، ورمحها، وسندها، وعمادها، وحصنها المنيع، وحامل لوائها، قائد جيشها، ومأوى أراملها ويتماها.

---

[1]– المصدر السابق، ص31.

(*)– الخميس الاشوس: الجيش الجرار.

[2]– المصدر نفسه، ص46.

3/- العزاء:

يعكس هذا اللون تجربة الشاعر التي تدفع به إلى التفكير في الكون والوجود والعدم، ويتضح ذلك في قوله:

[الوافر]

يعيش المرء عند بني أبيه ويوشك(*) إن يصير بحيث صاروا

أرى طول الحياة وقد تولى(**) كما قد يسلب الشيء المعار(1)

يبدو ان" **المهلهل**" في هذين البيتين يبرز موقفه من الموت، مبينا انه النهاية الطبيعية التي سنؤول إليها جميعا، فالحياة في نظره زائلة مهما طالت، فهي مثل الشيء المعار يعطيه المعير ويأخذه متى شاء دون سابق إنذار.

إذا كان لابد من كلمة أخيرة **حول ألوان الرثاء في مراثي"المهلهل**" يجدر بنا أن نسجل الملاحظات آلاتية :

ابرز اللون الأول" الندب":

- أن الحزن والأسى بلغ **بالمهلهل** إلى البكاء مما جعله يخالف العرف وما اعتاد عليه الرجال في عصره.
- لم يقتنع" **المهلهل**" بإعطاء أخيه حقه في البكاء فجعل المرأة تشاركه مصورا مظهرا بكائها المتمثل في **اللطم، وشق الجيوب، وقرع الصدور.**

أما اللون الثاني:" التأبين":

فعمد **المهلهل** إلى الإشادة بمناقب أخيه مصورا فيه القيم ، والمثل التي هي موضع اعتزاز المجتمع العربي آنذاك.

(*)- يوشك: يقرب ويدنو، ويسرع ايضا.

(**)- تولى: ادبر.

(1)- المصدر السابق ، ص33.

وفي اللون الثالث" العزاء":

اكتفى " **المهلهل**" ببيت شعري واحد لا نجد سواها في مراثيه كلها ولعل السبب في ذلك كون العزاء قوامه الصبر، والتجلد عند المصيبة " **والمهلهل**" لم يعرف صبرا، ولا تجلدا، كيف لا وهو من ظل يطالب "**بكر**" **بكليب حيا**.

II- ألوان الرثاء في مراثي الأخ عند الخنساء:

1/ الندب:

إن الصورة التي تلقانا في رثاء" **الخنساء**" لأخويها "**صخر ومعاوية**" هي صورة الحزن والأسى، التي تعكس الصدمة النفسية التي تعانيها الشاعرة، وإحساسها بالفجيعة على المراثي، والتي جسدتها في **النواح، والبكاء والعويل** ولعل خيرما يصور ذلك قولها:

[الوافر]

الاياعين فانهمري بغدر(*) وفيضي فيضة من غير نزر.

ولا تعدي عزاءا بعد صخر فقد غلب العزاء(**) وعيل صبري.

لمرزئة كان الجوف منها بعيد النوم يشعل حر جمر(1).

فهي هنا تطلب من عينها أن تنهمر بالدمع انهمار المياه في الغدران، وان تفيض فيض الأنهار، لفقد" صخر".

(*)- الغدر: ج غدير وهو قطعة من الماء يغادرها السبيل.

(**)- العزاء: الصبر في الملهات.

(1)- الخنساء: الديوان، ص43.

وكذلك قولها :

[البسيط]

يا عين فيضي بدمع منك مغزار وابكي لصخر بدمع مدرار

إني أرقت فبت الليل ساهرة كأنما كحلت عيني بعوار(***)

أرعى النجوم وما كلفت رعايتها وتارة أتغشى فصل اطماري(1)(****)

وهي هنا **تجسد الأرق، والسهر**، ومجافاة النوم الذي ينتابها من جراء فقدها لأخيها"**صخرا**" كما صورت لنا" **تماضر**" ما لقته **من ذل وهوان وعجز بسبب فقد أخويها**، تقول:

[الوافر]

بكت عيني وحق لها العويل وهاض جناحي الحدث الجليل.

فقدت الدهر كيف أكل ركني للأقوام مودتهم قليل. (2)

فالشاعرة في هذين البيتين تشبه نفسها **بطائر مكسور الجناح لا قدرة له على الطيران.** وصورت نفسها في موضع لآخر وقد بلغ اليأس محمله، وهي عجوز بيضاء الشعر، مقرحة العين، لا تستطيع أن تفعل شيء رغم أنها في مقتبل العمر.

تقول:

(***) – العوار: القذى.

(1)– المصدر السابق، ص54/53.

(****)–الاطمار: ج طمر وهي الثياب البالية.

(2)– المصدر نفسه، ص94.

تقول : **[الطويل]**

تقول نساء: شبت من غير كبرة وأيسر مما قد لقيت يشيب. [1]

ويبدوان **تماضر** لم تقتنع بإعطاء أخيها" **صخر**" حقه في البكاء فعمدت إلى **إشراك الطبيعة** هذا الحزن، والألم الذي تعيشه.

كما جاء في قولها:

[الوافر]

فخر الشوامخ من قتله وزلزلت الأرض زلزالها.

وزال الكواكب من فقده وجللت(*) الشمس إجلالها . [2]

فالطبيعة في هذه الأبيات ليست كأي طبيعة– الشمس كاسفة، والكواكب زائلة، والدنيا مظلمة، معانيها توحي بقيام الساعة، اقتبستها الشاعرة من قوله تعالى(" إذا زلزلت الأرض زلزالها")[3]

وكذلك فعلت في رثاء معاوية

قائلة:

[مجزوء الكامل]

يا عين جودي بالدموع المستهلات السواجم. (*)

فيضا كما انخرق الجمان وجال في سبيلك النواظم. [4]

---

[1]– المصدر السابق،ص19.

(*)– جللت: كسفت وصار عليها مثل الجلالة.

[2]– المصدر نفسه، ص101.

[3]– سورة الزلزلة: الاية1.

(*)– السواجم: الدموع التي تسيل بغزارة.

[4]– المصدر نفسه، ص109

ورغم هذا البكاء الدائم على أخويها نجد "**تماضر**" تستجدي من عينها الدموع، وتلح في طلب التسكاب للدمع الغزير، بل يصل بها الأمر إلى معاتبة عينيها إذا ما شحت بالدمع.

فنراها تقول:

[الوافر]

أعيني فيعيني ولا تبخلي فانك للدمع لم تبدلي.

وتجودي بدمعك واستعبري كسح الخليج على الجدول.

على خير من يندب المعولون والسيد الأيد الأفضل. [1]

وكذلك قولها:

[البسيط]

يا عين مالك لا تبكين تسكابا؟(***) ***إذا راب دهر وكان الدهر ريابا*** [2]

2/- التأبين:

وفي هذه الصورة تعمد "**تماضر**" إلى تخليد المرثي، عن طريق رسم صورة مثالية له لا يمكن للواقع إن يجود بمثلها.

تقول: **[البسيط]**

وان صخرا لوالينا وسيدنا وان صخرا إذا نشتو كنحار.

وان صخرا لمقدام إذا ركبوا وان صخرا إذا جاعوا لعقار.

وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم و في رأسه نار.

جلد جميل المحيا كامل ورع وللحروب غداة الروع مسعار. [3]

---

[1]- المصدر السابق ص: 98.

(***) -تسكابا اي صبا، وهو مصدر السكب.

[2]- المصدر نفسه، ص13.

[3]-المصدر نفسه ، ص46.

فالشاعرة في هذه الأبيات أضافت إلى أخيها كل ما يجعله نموذجا لإغاثة الملهوف، والوفاء، والكرم، والشجاعة، والعبر، والحلم، وحماية الحار، والسماحة والسيادة، والشرف، والعفة، والجمال، وغيرها من الصفات.

ونجد "**تماضر**" في مرثية أخرى تحاول أن تبين ان فجيعتها تجاوزت نطاق الفردية بمعنى أنها أصبحت فجيعة جماعية تكابدها وتكابد معها قبيلتها التي خسرت حامي الحمى وملاذ العشيرة، وغيثها، ومأوى الجياع واليتامى، وحصنها المنيع.

كما يتضح ذلك في قولها:

[البسيط]

يا صخر! من لطرد الخيل إذ وزعت وللمطايا إذا يشددن بالكور. (*)

ولليتامى وللأضياف إن طرقوا أبياتنا لفعال منك مجنور. (**)

ومن لكربة عان في الوثاق، ومن يعطي الجزيل على عسر وميسور (1)

3/- العزاء:

وفي هذه الصورة تبين "تماضر" إن الموت حقيقة لا مجال للهروب أو الخلاص منه.

كما يتضح ذلك في قولها:

[البسيط]

قفل حي صائر للبلى وكل حبل مرة لاندثار. (2)

(*)- وزعت: ردت، الكور: ما يوضع على البعير ليكب فوقه.

(**)- مخبوز: اختبره وامتحنه.

(1)-المصدر السابق ، ص58.

(2)- المصدر نفسه ، ص62.

وقولها:

[الوافر]

مض ى وسنمضي على أثره كذلك لكل فتى مصرع[1]

فالشاعرة هنا تصور عجز الإنسان وفشله أمام هذه الحقيقة الكونية، التي لا يستطيع حيالها أن يفعل شيء، وسعيه لا يرد راحل.

ويقول: في نفس المعنى.

[البسيط]

كل امرئ باثا في الدهر مرجوم وكل بيت طويل السمك مهدوم. (*)

لا سوقة منهم يبقى ولا ملك ممن تملكه الأحرار والروم. [2]

بعد استعراض نماذج مختلفة ومتعددة من شعر "تماضر" في رثاء الأخ تبين لنا:

- أن الندب شغل الحيز الأكبر من ميراثي "**الخنساء**" وفيه جسدت الحزن والأسى الذي تعانيه من جراء فقد أخويها "صخر ومعاوية"
- رغم الدموع الغزيرة التي ذرفتها إلا أنها لم تكتف بذلك، بل هي تحث عينيها على أن لا توقف البكاء.
- لم تقتنع "تماضر" بإعطاء أخيها "**صخر**" حقه في البكاء والعويل فلجأت إلى إشراك الطبيعة فجيعتها وحزنها.

---

[1]– المصدر السابق ، ص78.

(*)– الاثافي: ج اثفية، وهي حجارة الموقد، مرجوم: مرمي بالحجارة، السمك: الارتفاع.

[2]– المصدر نفسه، ص105.

- كما صورت "**تماضر**" ما أصابها من ذل، وهوان بعد فقد أخويها.

وفي اللون الثاني: "**التأبين**" سعت "**تماضر**" إلى تخليد صورة المرثي، وذلك برسم صورة مثالية له لا يمكن للواقع في أي حال من الأحوال أن يجود بمثلها.

كما كانت معاني هذا اللون تدور في الغالب حول الخسارة الجماعية للعشيرة.

أما اللون الثالث" **العزاء**" فقد أبرزت فيه الشاعرة حقيقة الموت، وصورت عجزها وضعفها أمام هذه الحقيقة التي لا يمكن مواجهتها.